شرف المهنة

محمد فتحي صبري

أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي
أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي ش.م.م

شرف المهنة

كانت فوزية الكاشف فتاة تختلف عن معظم زميلاتها بل ومعظم الناس فهى تعشق الأنسان الهلاو .. سواء كان رجلا أم إمرأة، لأن الحياة فى نظرها مجرد شطاره، ولذلك كثيرا ما يسمعها الناس وهى تثنى على «عبدون الجيار».. الرجل الذى لا يقوم بعمل شيد جاد، ولكنه يستفيد من كل ما يحدث حوله.. فإذا كانت هناك أزمة

فى إحدى السلع التموينية، كنقص مثلا فى زيت الطعام، وتضطر الحكومة إلى بيعه مدعما عن طريق المجمعات الأستهلاكية، أى بسعر أقل من سعره الأصلى، ولذلك تشترط أن لا يشترى المواطن منه أكثر من زجاجة واحدة، يذهب هو وأولاده، بل وأبناء جيرانه ، ليشترى كل منهم زجاجة من زيت الطعام ويعاود كل منهم الشراء فى كل يوم من المجتمعات.. وبهذه الطريقة يستطيع هو عبدون الجبار أن يخزن المئات من زجاجات زيت الطعام بمنزله، ولا يلبث أن يبيعها فى السوق السواء بضعف الثمن الذى يشترى به المواطن الزيت من الجمعية !.. وعندما كان أهل الحى يلومونه على ذلك لأنهم يرون أن ما يفعله أستغلالا للظروف، مما يؤدى إلي رفع الأسعار، يضحك ويعلق قائلا فى فخر وتباه :

لو كان أحدكم يملك نصف شطارتى وفهلوتى، لفعل مثلما أفعل، ولأستغل الموقف وكسب من وراء ذلك كثيرا.

.. وكانت فوزية كلما سمعت ذلك عن «عبدون الجيار» تزداد اعجابا به، وتثنى على ذكائه وشطارته لكل من تعرفهم .

كما كانت «فوزية» تعجب برجل يجلس دائما على المقهى التى تقع أسفل المنزل الذى تقطن فيه أسرتها، يدعى «أبو دومه»، وكان لا يغادر المقهى طوال اليوم، كان يجلس ليشاهد المجموعات من رواد المقهى وهم يلعبون الزد، وبينما هم مندمجون ومتحمسون فى اللعب، يضع هو شروطا لأشعال الحماس فى اللعب، بأن يسدد المهزوم قيمة المشروبات ، ووجبة الغذاء لكل من ياشهد اللعب.. ولما كان هو يجلس

مشاهدا دائما، لذا كان يتناول دائما وجبات غذائية ومشروبا وراء الآخر.. وكل ذلك بالمجان !

فكانت فوزية الكاشف، كلما شاهدته يفعل ذلك، تصيح فى إعجاب شديد :

ياله من رجل فهلوى.

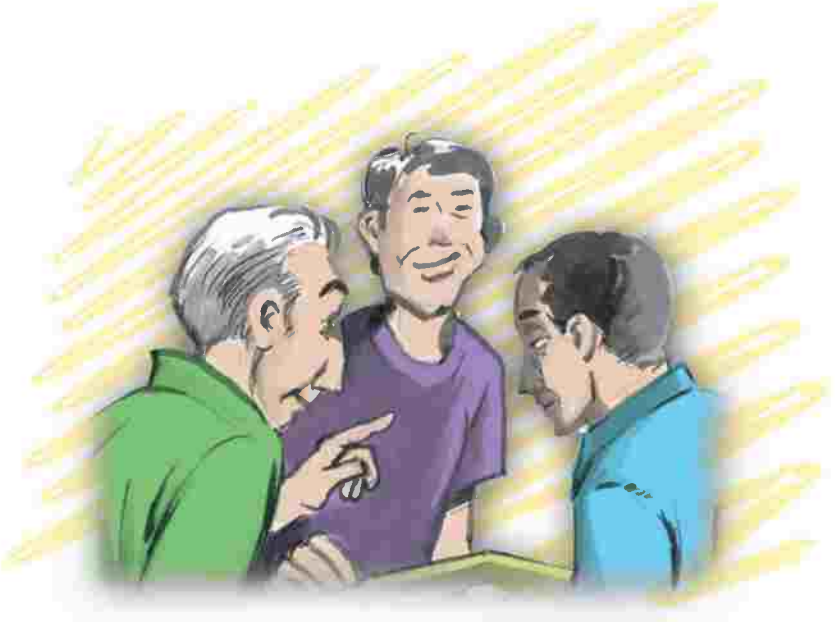

بيد أنه وبالرغم من اعجابها الشديد «بعبدون الجبار» وزبو دومه، لكنها فى الوقت نفسه، كانت تنظر إلى خالها المحاسب بإحدى الشركات نظره أزدراء واستخفاف، لأنه شخص غير فهلاو، نظرا لأنه يؤدى عمله بأمانة تامة، وكان يمكنه من وجهة نظرها أن يبذل نصف هذا الجهد، ولن يشعر صاحب الشركة بشىء.

.. ولذلك فإنه ما أن التحقت فوزية الكاشف بالمدرسة الثانوية.. حتى صار شعارها الذى أعلنته لجميع زملائها، وصارت تتباهى به فى كل مكان.. هو الفهلوه.. وكانت تقصد بذلككيفية الوصول إلى أى نتيجة بأقل قدر من الجهد.. حتى لوكان السبيل لتحقيق ذلك هو الغش..

وهذه هى الشطاره !

ولم تعلن فوزية الكاشف هذا الشعار فقط، بل راحت تطبقه فى كل أمور حياتها.. فكانت تتباهى بزنها من خلالالفهلوه، تنجح فى الأمتحانات.. ففى كل اختبارات المدرسة الشهرى أو اختبارات نهاية كل عام، كانت تلجأ إلى الغش.. فكانت تاره تنقل كل المواضيع المقررة فى كل مادة فى أقاصيص ورق صغيرة، وتضع هذه الأقصوصات فى وسط أوراق الإجابة.. لتنقل منها الإجابة..

بدون أن يشعر مراقبى لجنة الأمتحانات بما يحدث ولذلك كانت زميلاتها يتعجبن من نجاحها بتفوق ، بالرغم من أنها تلعب طوال اليوم.. فعندما يسألونها كانت لا تجيبهم ألا بكلمة واحدة... الفهلوة.

.. وحدث يوما أن أصيبت معلمة اللغة الأنجليزية بمرض اضطرها إلى الأقامة عدة أيام بالمستشفى للعلاج، فاتفقت هى وزميلتان من الفصل على زيارتها ومشاركة ثلاثتهن فى شراء باقة ورد من مصروفهم ، لتقديمها للمعلمة بالمستشفى.. ولما ذهبن ثلاثتهن إلى المستشفى، تعمدت فوزية أن تحمل باقة الورد، فلما قدمتها إلى المعلمة، اعتقدت أن فوزية هى التى اشترت باقة الورد بمفردها، فقالت لها شاكره :

ولماذا كل هذا التعب يافوزية ؟

.. بينماانتظرتا زميلتاها أن تذكر فوزية للمعلمة أنهن شاركتاها فى تكاليف شراء الباقة، لكنهما فوجئنا بفوزية تقول للمعلمة :

هذا أقل شيد ممكن تقديمه لك .

ولم تضف ولو كلمة واحدة تشير بمشاركتهما لها ، مما أكد للمعلمة أن فوزية فقط هي التي اشترت الباقة فراحت كل منهن تبلغا جميعالتلميذات بالمدرسة بما حدث من فوزية.. ولكن الجميع فوجئ بفوزية تضحك من ذلك، وتتباهى بماحدث.. وتعتبر ذلك من قبيل الفهلوة!

.. وعندما حصلت فوزية على المؤهل المتوسط، التحقت بوظيفة فى قسم الحسابات برحدى الشركات الخاصة.. ولكنها لماكانت تميل إلى عدم بذل الجهد، لذلك كانت لا تطيق العمل.. فراحت تسأل نفسها : أين الفهلوة يا فوزية ؟!

فجعلت لا تفكر فى شيء حتى أثناء العمل سوى كيفية الوصول إلى طريقة تجعلها تحصل على أعلى دخل بدون أن تبذل جهدا.. حتى تفتق ذهنها أخيرا عن فكرة ستجعلها لا تبذل جهدا تماما، ورغم ذلك تتقاضى راتبا عن عملها أكبر مما

تحصل عليه.. فقد عرفت من زملائها فى العمل، أن صاحب الشركة غير متفرغا لمتابعة العمل بها، لزن لديه العديد من الشركات الأخرى، ولذلك لا يحضر إلى الشركة سوى مرة أو مرتان فى العام بأكمله.. ففكرت أن تستغل ذلك بزن تطلق إشاعة لتنتشر بين موظفى الشركة.. وخاصة رؤسائها فى العمل، بأنها إحدى قريبات مالك الشركة، وأنها تنقل إليه كل ما يحدث فى الشركة بين الموظفين، بل ومن كل

منهم على حده... حتعى يتطرق الشك لدى كل منهم فى أنها ليست مجرد موظفة.. بل هى جاسوسة.. ولكى تنفذ خطتها، طلبت من إحدى صديقاتها، أن تذهب إلى الشركة، وتلتقى بموظفةبها معروفة بأنها لا تستطيع أن تكتم خبرا ، فتدعى صديقه فوزية لهذه الموظفة بأنها قد جاءت لتحذر موظفى الشركة من فوزية الكاشف ، لأنها فى الحقيقة أبنة خال مالك الشركة، وأنها توافيه دائما بكل ما يحدث فى الشركة، وأنها هى صديقتها كانت زميلة دراسة لفوزية الكاشف، وتعرف كل شيد عنها.. ولكن لما كان زوج فوزية الكاشف، هو خطيبها السابق، لذلك أرادت هى صديقة فوزية أن تنتقم من فوزية، ولهذا قامت بالإبلاغ عنها وتحذيرهم منها .

وانطلت الحيلة على الموظفة، والتى أسرعت من فورها ، الافشاء سر فوزية الكاشف.. فنجحت بذلك خطة فوزية، فلم تلبث فى بضعة أيام فقط أن صارت موضعا لخوف موظفى الشركة، وراح كل منهم يسعى إلى التقرب إليها... فصارت لا تحضر إلى الشركة للعمل، ألا بعد حضور موظفى الشركة بساعات طويلة.. وزسند رئيسها مهام عملها إلى بعض زملائها خوفا من أن تنقل إلى مالك الشركة أخبارا مغلوطه عنه.. ولذلك تركها تفعل ما تشاء، وتحضر فى الوقت الذى تشاء .

.. ولكن .. ما أن مضى على ذلك شهر واحد فقط، إذا بإشاعة وجود موظفة بالشركة من أقارب مالكها، والتى تنقل إليه الأخبار.. تصل إلى المالك نفسه.. ففوجئ الموظفون بمالك الشركة يحضر خصوصا إلى الشركة، ليتخذ قرارا واحدا... رفد موظفة الحسابات.. والتى تدعى قرابته فوزية الكاشف .

وكانت فوزية الكاشف فى هذا الوقت متزوجة، وقد أنجبت بعد تركها العمل.. خالد وهدى.. وبعد أربع سنوات، ألتحقت بوظيفة عاملة سنترال بدليل تليفونات

المدينة.. كان عملهاتلقى طلبات المواطنين ، للأستعلام من الدليل عن الأرقام التى يطلبونها عن أرقام شركات أومستشفيات أو مصانع أو أفراد أو غيرها.. ويساعدها فى ذلك جهاز الحاسب الآلى الذى أمامها، فتستطيع موافاة الطالب برقم هاتف من تستعلم عنه فى ثوان معدودة .

.. بيد أنه..ما أن مر عليها فى العمل بالدليل سوى ثلاثة أسابيع فقط.. حتى عاودتها طبيعتها التى تغلب عليها دائما.. الفهلوه.. فبدلا من أن تقوم بخدمة العملاء وهو عملها المطلوب منها، والذى تتقاضى عنه أجرها، وجدت فى هذا العمل الفرصة لتتحدث من خلال الهاتف طوال الوقت مع أقاربها وصديقاتها ومعارفها..

فلم يتصور أحد أبدا أنها تترك عملها لتثرثر مع الآخرينمن خلال الهاتف.. وتبدو لكل من يشاهدها أنها منهمكة تماما فى عملها من خلال استخدامها للهاتف دائما، ومن خلال شاشةالحاسب الآلى الموضوع أمامها، لتوافى طالبى خدمة الأستعلام بأرقام خطوط الهوافت التى يطلبونها.. ولذلك كان رئيسها وزملائها فى العمل لا يتصورون أبدا أنها لاتعمل.. بل تثرثر مع صديقاتها وأقاربها ومعارفها طوال وقت العمل .

وبالرغ من الثرثرة مع معارفها وصديقاتها ، لكنها كانت حريصة دائما على ألا يفطن أحد إلى ما تفعله.. فكانت بين حين وآخر تراقب رئيسها، فإذ اقترب منها، ترفع من درجة صوتهاوهى تقول: نعم. رقم فلان هو كذا .

وتحديدها إلى الفاره الخاصة بالحاسب الذى أمامها، فتظهر بذلك وكأنها تبحث عن الأرقام.. فما أن ياشهد ذلك رئيسها، يهز رأسه معجبا ومدركا لعملها، ولا يتطرق إليه أدنى شك فى أنها منهمكة فى عملها.

ولما لاحظت احدى صديقاتها أثناء الحديث معها التغيرالذى يحدث فى صوت فوزية، وأنها قالت فجأة «نعم. رقم كذا» ، سألها فى حيره :

الله . ماذا حدث يافوزية ؟

أجابتها فوزية :

لا شئ. فالريس يمر .

قالت ذلك وزطلقت ضحكة طويلة، وأردفت فى مباهاه :

لكى تعرفى يا حبيبتى من هى فوزية الفهلوية التى تستطيع أن تخدع الجيمع !

وتنهدت فى عمق وهى تقول فى مباهاه :

ما هى الحياه يا صديقتى مجرد شاطره وفهلوه، والذى يعمل فيها بجد وأخلاص هو الخائب.

.. واستمرت فوزية فى خداعها لروسائها وزملائها فى العمل لمدة.. حتى جاء يوم، عادت فيه فوزية من عملها إلى مسكنها متلهفة كعادتها لرؤية ولديها..

بيد أنها ما أن بلغت باب مسكنها، وقامت برن الجرس الرنات التى يعرف ولديها أنها رناتها هى، لكنها لم تجد أحدا يفتح لها الباب، فأصيبت بدهشة شديدة وعلى الفور أخرجت مفتاح بابالمسكن، وفتحت الباب، وولجت مسرعة إلى الداخل، وجعلت تبحث عنهما فى كل مكان بالمسكن، ولكنها لم تجدهما، فأصيبت بجزع شديد..

فلا يمكن أن يكون خالد أو هدى قد غادرا المنزل، فخالد الأكبر لم يبلغ الخامسة من عمره بعد... أماهدى فلم تتجاوز الثالثة من عمرها.. فلا يمكن أن يخرجا بمفردهما ؟.. فخطر ببالها.. ربماجاء والدهما بمكرا من عمله وصحبهمامعه ؟. فقامت عليالفور، واتصلت من خلال المحمول بزوجها.. ولكنها ما كادت تحدثه، إذا بها تفاجأ مفاجأة كبرى.. فزوجها لم يحضر، بل ما يزال فى عمله !!

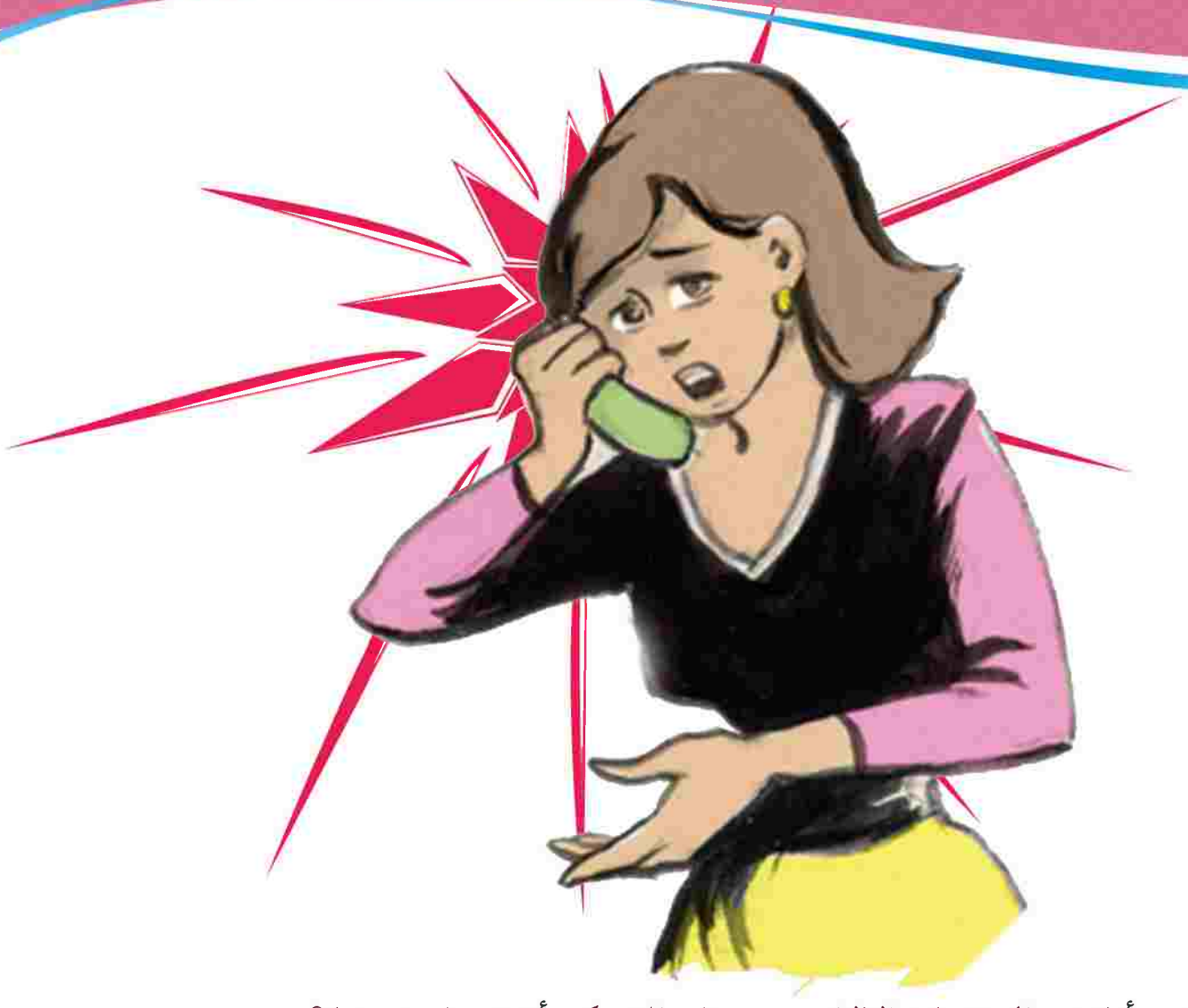

بعد... أماهدى فلم تتجاوز الثالثة من عمرها.. فلا يمكن أن يخرجا بمفردهما ؟.. فخطر ببالها.. ربماجاء والدهما بمكرا من عمله وصحبهمامعه ؟. فقامت عليالفور، واتصلت من خلال المحمول بزوجها.. ولكنها ما كادت تحدثه، إذا بها تفاجأ مفاجأة كبرى.. فزوجها لم يحضر، بل ما يزال فى عمله !!

فما أن سمعت من زوجها ذلك، حتى صرخت فجأة وهى تتساءل فى جزع «هل . هل اختطفهما أحد؟!».

فتهاوت على أقرب مقعد وهى فى حالة من الجزع والأعياء الشديدين.. وحاولت أن تقف على قدميها، لتغادر المسكن وتبحث عنهما، بيد أن قدميها لم تتطاوعاها..

وفجأة.. تناهى إلى اذنيها صوت خطوات تقترب من باب المسكن.

.. كانت خطوات تدل على أن صاحبتها إمرأة، لزنها ترتدى كعب رفيع، فانتفضت قائمة وهرولت إلى باب مسكنها.. ومتى كانت بفتح الباب، وجدت أمامها جارتها محاسن .

بادرتها محاسن قائلة فى لهفة :

أخيرا. وصلت يا فوزية !

فلما نظرت إليها فوزية فى ذهول وتساؤل، أردفت قائلة :

إن هند ابنتك فى المستشفى.

فأطلقت فوزية آهه عالية، وكادت أن تقع مغشيا عليها، بينما واصلت محاسن قائلة لتوضح الأمر :

لا تخش شيئا. فقد صحبها زوجى إلى هناك. وذهب برفقته أبنك خالد .

فسألتها فوزية، وهى تشعر أنها تسقط فى بئر عميق :

ماذا تقولين . ماذا حدث لابنتى ؟

أجابت جارتها محاسن :

لقد صعد خالد أبنك صباح اليوم إلى مسكننا، وأخبرنى أن هندا حرارتها مرتفعة جدا، فحاولت الأتصال بك، ولكن كان هاتفك مشغولا طوال الوقت، فلجأت إلى زوجى الذى جاء على الفور، وحملها إلى المستشفى بسرعة.

ماكادت فوزية تسمع ذلك، حتى صاحت فى لهفة شديدة :

هيا بسرعة إلى المستشفى.

وهرعته مغادره باب مسكنها وفى أعقابها أسرعت جارتها محاسن .

وما أن مرت نصف ساعة فقط، حتيوجدت فوزية أمامها أبنتهاهدى. فتسمرت فى مكانها.. كانت ابنتها راقدة على أحد الأسرة، وحولها يقف رجل يرتدى وشاح

ابيض، يبدو أنه الطبيب، بينما كانت إحدى الممرضات مشغولة بقياس حرارة هدى..
وعلى حافة السرير يجلس شقيقها خالد .

وبعد دقيقتين فقط، أخرجت الممرضة ميزان الحرارة وقدمته للطبيب، فما أن أمعن النظر فيه لثوان، حتى أطلق زفره عميقة، وقال :

الحمد لله. أخيرا انخفضت الحرارة وصارت طبيعية .

ثم التفت إلى فوزية وخاطبها قائلا :

الآن فقط أستطيع أن أقول حمد لله على سلامة أبنتك ، فمنذ أن وصلتنا منذ عدة ساعات وحتى الآن استمرت مرتفعة رغم محاولاتنا العديدة .

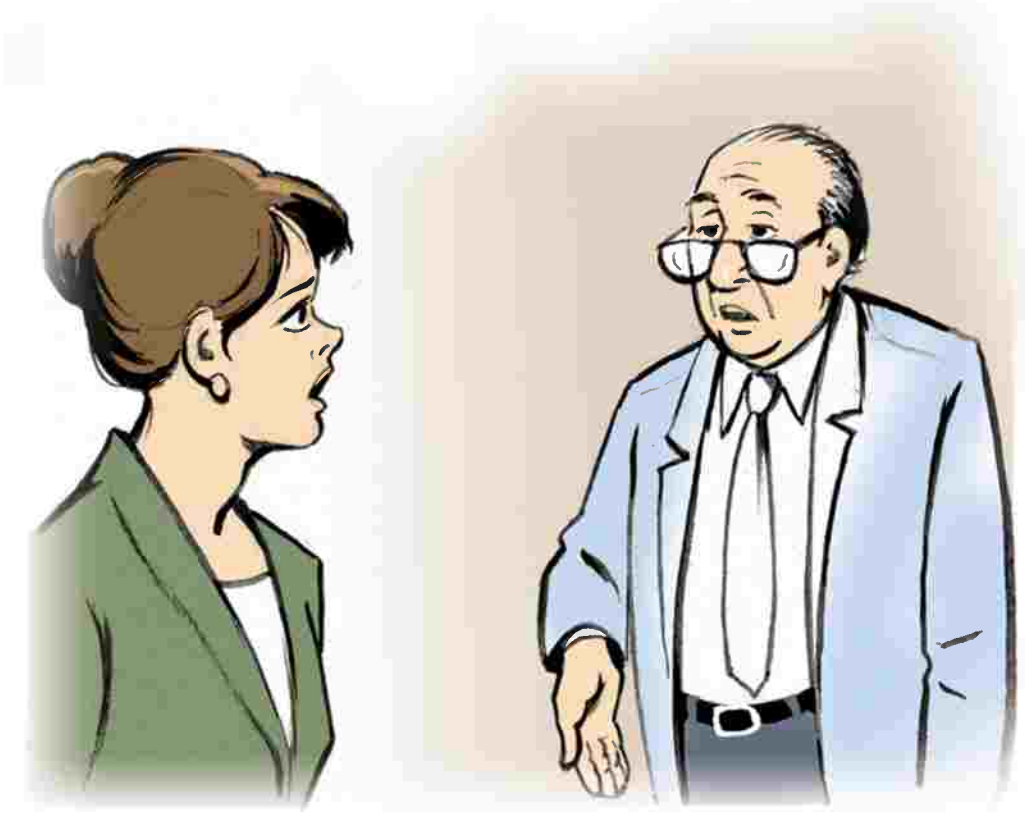

أردفت الممرضة :

لا تتصورا أن الدكتور حسن، لم ينم فهو منذ أمس موجود بالمستشفى، وكان

المفروض أن يغادرها لينم بعد نوباتجيته لينم فى منزله، ولكنه لما وجد حالة أبنتك خطيرة، ولا يوجد فى هذاالوقت طبيب آخر، تغلب على نعاسه والامه واستمر فى علاج ابنتك حتى شفيت .

فراحت فوزية تدعو له وتشكر جهده، بيد أنه قال فى حرج :

وهل يمكن أن أترك ابنتك وهى على هذا الحال، فهذا واجبى أصلاً .

وتوقف الطبيب لحظة، ولكن بدا له شىء، فتساءل فجأة :

ولكن، لماذا تأخرتم لساعات طويلة؟! فلو كنتم تأخرتم لدقائق أخرى فقط، لفقدتوا ابنتكم .

فاندفعت الجارة محاسن قائلة :

لأننى لم أكن أعرف أرقام هواتف المستشفيات ولا أرقام هواتف عيادات الأطباء.

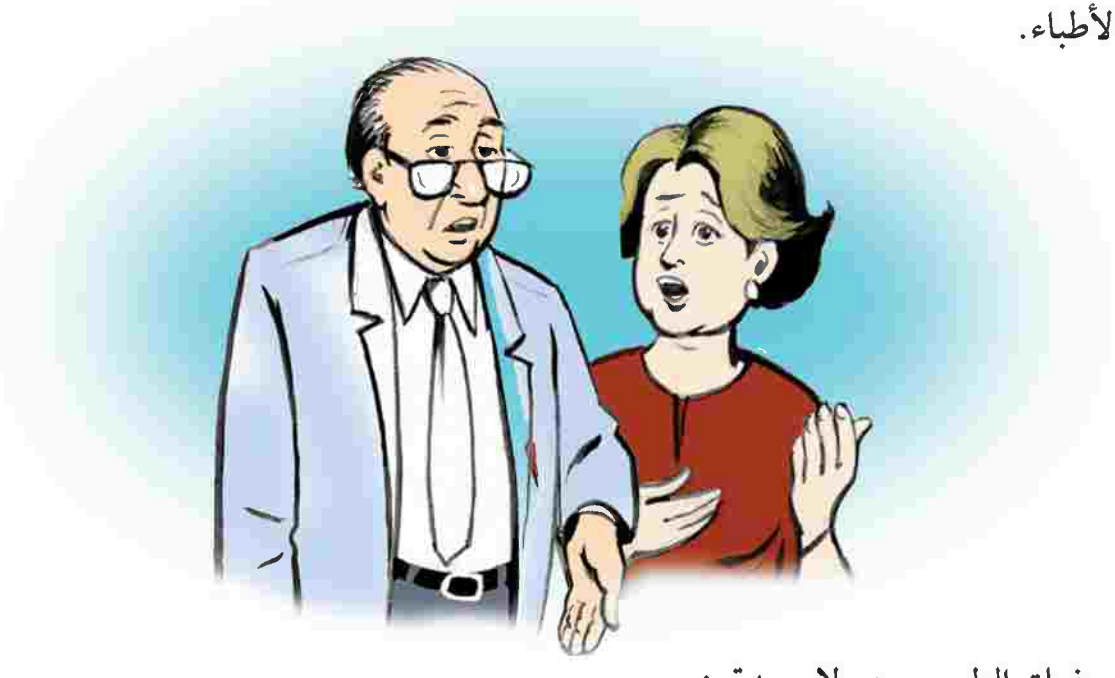

فعلق الطبيب وهو لا يصدق :

وهل فى ذلك مشكلة ! عليك بالأتصال بدليل التليفونات العمومى، فديه أرقام جميع المستشفيات والعيادات والأطباء .

فاندفعت الجارة محاسن فى غضب :

لقد كان خط هاتف الدليل مشغولا لعدة ساعات كاملة، فاضطررت إلي الأتصال بزوجى فيعمله، فترك ما فى يدهوجاء على الفور ليأخذ معه هدى.

.. وفى اليوم التالى.. وما كادت فوزية تبدأ عملها، كان أول شىء فكرت فيه، أن تتصل بصديقاتها لتروى لهم ما حدث بالأمس.. بيد أنها تذكرت فجأة الطبيب الذى ظل يعالج ابنته وهو يصارع النوم ولم يستسلم للتعب من أجل إنقاذ ابنتها.. وهى بإهمالها لعملها واستخدامها لهاتف الدليل، تحرم العشرات.. بل المئات فى كل يوم من الأستعلام.. فربما كان أحدهم يحتاج إلى رقم هاتف مستشفى أو عيادة لإنقاذ أحد أبنائه أو أقاربه، أو شاب فى أمس الحاجة لمعرفة رقم هاتف شركة، لطلب وظيفة، وهو لا يعرف أرقام هواتفها.. فهى بإهمالها لعملها هذا تفوت على كل هؤلاء الفرصة.. والزوغان من عملها إنما يعنى خيانة .. لشرف المهنة !!